مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: 01 جويلية 2021
العنوان: تبادل الهدايا بين علماء الغرب الإسلامي... ص.ص 649- 687.

تبادل الهدايا بين علماء الغرب الإسلامي وبقية عناصر مجتمعاتهم خلال العصر الوسيط

د/ محي الدين صف الدين
جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر.
moheiddine.saffeiddine@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2020/02/03؛ تاريخ القبول: 2020/06/06

Exchanging gifts between scientists of islamic west and rest members of their societies during the middle ages.

Abstract:

The gift is one of factors which help to improve and consolidation of relationships between society members, where fore the Prophet Muhammed - peace be upon him – encouraged muslims to exchange giftsto increase affection links between them.

From this point scientists of Islamic west pursue to consolidate their relationships with their societies members rulers and governed by exchanging gifts with them, only these gifts differ according to the difference of the side which they deal with it.

The gifts which scientists gave to rulers in islamic west were books which they wrote and they received in the opposite money or expensive clothes orsublime functions, while gifts of these scientists to their colleagues were especially books and other symbolic things as flowers, fruits and perfumes.

On the other hand, some people were expressing their estimatetowards scientists by giving them diverse gifts as foods, or animals for entertainment orconsumption, or others,but the gifts from scientists to the rabble varied between a furnished accommodation and a hat (shechia).

Keywords: scientists; Islamic west; gifts; books; rulers; rabble.

الملخص:

تشكل الهدية أحد العوامل التي تساعد على تحسين وتمتين العلاقات بين أفراد المجتمع، لذلك حث النبي صل الله عليه وسلم المسلمين على التهادي بهدف زيادة أواصر المحبة بينهم.

من هذا المنطلق سعى العلماء في الغرب الإسلامي إلى توطيد علاقاتهم بعناصر مجتمعاتهم حكاما ومحكومين عن طريق تبادل الهدايا مع هذه العناصر، إلا أن الهدايا المتبادلة كانت تختلف حسب اختلاف الجهة المقابلة المتعامل معها.

تمثلت الهدايا التي أتحف بها العلماءُ الحكامَ في الغرب الإسلامي، في الكتب التي كانوا يؤلفونها، وكانوا يتلقون مقابلها مبالغ نقدية أو خلع سنية أو مناصب راقية،في حين تمثلت هدايا هؤلاء العلماء إلى قرنائهم في الكتب خاصة بالإضافة إلى هدايا رمزية أخرى مثل الأزهار والفواكه والعطور.

ومن جهة أخرى، كان بعض العوام يعبرون عن إجلالهم وتقديرهم للعلماء بإهدائهم هدايا متنوعة من مأكولات أو حيوانات للتسلية أو الاستهلاك أو غيرها، أما هدايا العلماء إلى العامة فتراوحت بين المسكن المجهز تجهيزا كاملا والطاقية.

الكلمات المفتاحية: العلماء _ الغرب الإسلامي _ الهدايا _ الكتب _ الحكام _ العامة.

مقدمة:

عاش العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، خلال العصور الوسطى، نهضة ثقافية وعلمية كان من بين مظاهرها بروز عدد كبير من العلماء الذين شكلوا شريحة هامة ضمن المجتمعات الإسلامية، كان لها أثر بارز في حفظ التوازن داخل هذه المجتمعات والتواصل بين الحكام والمحكومين.

من هذا المنطلق دأب علماء الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس) على إقامة علاقات حسنة فيما بينهم من جهة ومع محيطهم من رؤساء ومرؤوسين من جهة أخرى، ومن بين مظاهر هذه العلاقات الودية تبادل الهدايا بين العلماء أنفسهم وبينهم وبين بقية عناصر المجتمع الأخرى. ترى فما هي أنواع الهدايا التي كان يتبادلها العلماء فيما بينهم ومع غيرهم؟ وما هي الدلالات الرمزية لهذه الهدايا؟

ولكن قبل المرور إلى الإجابة على هذين السؤالين المحوريين، ارتأينا التعريج على تعريف الهدية لغة واصطلاحا، ثم استعراض حكم الشرع في هدايا العلماء، ثم معرفة موقفهم منها، ثم استعراض أنواع الهدايا التي كان يتبادلها العلماء في الغرب الإسلامي فيما بينهم أولا، ثم مع الحكام وأخيرا مع العامة.

ومما تجدر الإشارة إليه أننا عثرنا، خلال جمعنا للمادة بهدف إنجاز هذا العمل، على دراسات تناولت موضوع الهدية(انظر التعليق رقم 1)، إلا أن جلها، إن لم نقل كلها، لم تتعرض إلى الهدايا المقدمة من وإلى العلماء، اللهم إلا أطروحة ماجستير بعنوان " أحكام الهدية في الفقه الإسلامي " أشار صاحبها في مبحث من المباحث إلى " الهدايا بين الرعية وأهل العلم (المفتين والمعلمين)" (سعيد و م، 2011: 90-94)، فكان ذلك من أوكد الأسباب التي دفعتنا إلى الاعتناء بموضوع هدايا العلماء، إضافة إلى محاولة استيضاح بعض جوانب العلاقات التي كانت تربط العلماء فيما بينهم وعلاقاتهم بالحكام.

I) تعريف الهدية لغة واصطلاحا:

1) لغة:

تتفق المعاجم العربية على أن أصل كلمة الهدية هو الفعل الثلاثي" هدى " والذي معناه تقدم، بحيث أننا نقول هدى الشيء إذا تقدمه، من ذلك جاءت تسمية الهدية لأَنّها تقدم أَمام الحاجة (العسكري أبو هلال، 2002: 283)، ومنه الهادي وهو الدليل الذي يقدم القوم ويدلهم نحو وجهتهم(جبل محمد حسن، 2010: 4/ 2294).

أما الهدية بفتح الهاء وسكون الدال فتعني الطريقة والسيرة (مجمع اللغة العربية، 2004: 978/2)، كما تعني أيضا البدَنَة أو الهدْي الذي ينحره الحاج يوم العاشر من ذي الحجة تقربا إلى الله، وهدية الأمر جهته، والهدية بكسر الهاء وسكون الدال هي القصد والوجهة أو أنها خشبة في الطاحونة تربط بدابة تجرها فتدور الرحى(مجمع اللغة العربية، 2004: 979/2).

2) اصطلاحا:

الهدية هي إعطاء شيء بغير عوض صلة وتقربا وإكراما (قلعجي محمد رواس، 1988: 493) إلى ذي مودة من بر(لفراهيدي الخليل، د.ت: 77/4)، شريطة أن يكون المُهدَى إليه في مرتبة أعلى من المُهدِي، أما إذا كان هذا الأخير في مرتبة أدنى تحولت الهدية إلى هبة (العسكري أبو هلال، 2002: 283)، وأن يكون المُهدى إليه من أهل الإنقباض والتعفف (الخشني بن حارث، 1991: 115) وفي غنى عما يعطى، أما إذا كان غير ذلك اتخذ الشيء المُعطى تسمية من أسماء الأعطيات الأخرى غير الهدية.

II) حكم الهدية في الشرع:

رُوي عن النبي صل الله عليه وسلم عدة أحاديث يحث فيها المسلمين على التهادي ولو بأبسط الأشياء، منها قوله صلى الله عليه وسلم: " تَهَادَوْا فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاة " (الترمذي محمد، 1975: 4/ 441)، ونهى من جانب آخر عن رد الهدية، حيث قال صل الله عليه وسلم: " أَجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين " (ابن حنبل أحمد، 2001: 6/ 389)، وليس للمُهدى إليه أن يسأل أو يفتش عن مصدر الهدية ولو جاءته من مشرك أو كافر أو رجل اختلط كسبه بين الحلال والحرام، اللهم إلا إذا تيقن بشكل قطعي بأن ما أهدي له كان كله من الحرام(الغزالي أبو حامد، 2005: 567)، بل أن الرسول صل الله عليه وسلم يعتبر كل ما يُعطى للمسلم من دون مسألة ولا إشراف فهو رزق ساقه اللَّه إليه، فله أن يأكله ويتموله (الإثيوبي الولوي، 2003: 23/ 194).

فقد تلقى الرسول صل الله عليه وسلم هدايا من مشركين وقبلها وتصرف فيها، مثل الهدية التي تلقاها من المقوقس عظيم القبط في مصر(ابن أبي شيبة، 1409هـ:516/6)، كما أهدى أكيدر دومة(ابن حجر العسقلاني، 1415هـ: 1/ 378 – 381)، وكان مسيحيا، هدية إلى النبي ρ، فقبلها منه(الألباني ناصر الدين، 2002: 195/2).

ويعود كل ذلك لما للهدية من آثار إيجابية على المجتمع بصفة عامة، منها انتشار المحبة بين أفراده، وفي هذا السياق يقول صل الله عليه وسلم: " تهادوا تحابوا " (البخاري بن إسماعيل، 1989: 208)، كما أن الهدية تزيل التباغض والتحاسد بين أفراد المجتمع، وفي هذا المعنى جاء قوله ρ: " تهادوا، فإن الهدية تذهب وغر الصدر" (ابن حنبل أحمد، 2001: 141/15).

ومن الأمور التي دعا إليها الشرع استحباب المكافأة على الهدية، وفي هذا السياق يقول الرسول صل الله عليه وسلم: " من سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن أَهدى لكم فكَافئوه، فإن لم تجدوا ما تكَافئوه فادعوا لَه"(ابن حنبل أحمد، 2001: 516/9)، وقد ورد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ρ كان يقْبَل الهدية ويثيب عليها(البخاري م، 198: 157/3).

واقتداء بالنبي صل الله عليه وسلم، فإن عددا من الصحابة والتابعين كانوا يقبلون هدايا الحكام ويشجعون على ذلك، فقد كان زيد بن ثابت(ابن الأثير عز الدين، 1415هـ/1994م:346/2) يقبل هدايا الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (41- 60هـ/ 661- 680م) وابنه يزيد (60- 64هـ/ 680- 683م)، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقْبَل هدايا صهره المختار بن أبي عبيد الثقفي (الذهبي شمس الدين، 1405هـ/ 1985م: 538/3- 544) بل ويأكل طعامه (القرطبي أبو عبد الله، 1989: 205).

ويورد القرطبي أبو عبد الله في كتابه " قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة " عددا من الأمثلة عن صحابة وتابعين وعلماء كانوا يقبلون هدايا الحكام، بل أن بعضهم كان

يفضلها على هدايا الإخوان والأصدقاء، وحجته في ذلك أن الإخوان يمنون بينما الحكام لا يمنون(القرطبي أبو عبد الله، 1989: 206).

وفي المقابل وُجد بعض من رجال السلف الصالح كانوا يرفضون أخذ الهدية، وخاصة من الحكام، من هؤلاء سعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين والإمام أحمد بن حنبل (القرطبي أبو عبد الله، 1989: 206).

من خلال ما سبق ذكره يتضح أن الإسلام يحث أتباعه على التهادي كوسيلة من وسائل التعاضد وزيادة اللحمة بين أفراد المجتمع الإسلامي، حتى وإن جاءت الهدية من كافر أو مشرك، ورغم ذلك توجد مجموعة من الشروط والضوابط تمنع المسلم من قبول الهدية، تتمثل في:

_ أن لا تكون الهدية من مال كله حرام، مع علم المُهدى إليه بذلك.

_ أن لا تتشكل الهدية من مواد محرمة شرعا.

_ أن لا تكون الهدية بمثابة رشوة، ينتظر المَهدي من ورائها خدمة يؤديها له المُهدى إليه، وفي هذا السياق تندرج قصة الصحابي ابن اللتبية الذي عينه النبي على الصدقات، فجاء بعد انتهائه من مهمته بأموال الزكاة وأموال أخرى عبارة عن هدايا قدمت له، فعاتبه النبي على ذلك وأمر بإلحاق هذه الهدايا ببيت مال المسلمين(النووي محي الدين، 1972: 12/ 220)، وكذا قصة الرجل الذي كان يهدي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنويا رِجل بعير، وحدث أن وقف ذات يوم أمام الخليفة إلى جانب خصمه، فقال: " يا أمير المؤمنين اقض بيننا قضاء فصلا كما يُفْصَل الرِّجْل من سائر الجزور "، فحكم الخليفة لصالح خصمه، وأصدر مرسوما إلى عماله على الأقاليم نصه: " ألا إن الهدايا هي الرشا، فلا تُقبلن من أحد هدية "(وكيع أبو بكر، 1947: 1/ 56).

_ أن لا ينجر عن الهدية ضرر بالمَهدي أو بالمُهدى إليه أو بأي طرف من أطراف المجتمع الإسلامي.

_ أن لا يكون الهدف من الهدايا المقدمة إلى المسلمين من الكفار تمجيد معتقدات أو أعياد هؤلاء الأخيرين.

خلاصة القول أن الإسلام حث أتباعه على التهادي، ولم يمنعهم من قبول هدايا أتباع الديانات الأخرى، كل ذلك مع الإحتراز وعدم قبول ما يتنافى وتعاليم ديننا الحنيف.

III) موقف علماء الغرب الإسلامي من الهدية:

يشير أبو عبد الله القرطبي في كتابه المذكور أعلاه أن غالبية العلماء من السلف الصالح كانوا يقبلون هدايا خلفاء الدولة الأموية، مثل الصحابي الجليل عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وأبو هريرة (سباهتش عمر، 2000: 83- 84)، ومن العلماء التابعين الشعبي عامر بن شراحبيل وإبراهيم النخعي، وعلماء البصرة بما فيهم الحسن البصري وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان وأبو الزناد والفقهاء السبعة بالمدينة (انظر التعليق رقم 2)، ثم تلت هؤلاء كوكبة من العلماء كانوا يقبلون هدايا الخلفاء العباسيين، نذكر منهم الإمام مالك بن أنس والإمام الشافعي وسفيان الثوري وأغلب فقهاء الحجاز والعراق (القرطبي أبو عبد الله، 1989: 206).

فإذا كان العلماء الأجلاء من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين لا يردون هدايا الحكام، وأن بعضهم كان يفضلها على هدايا الأصحاب والإخوان، فمن المؤكد أنهم كانوا يتهادون فيما بينهم استنانا بالرسول ρ وبصحابته الكرام رضوان الله عليهم، وسار على منوالهم علماء الغرب الإسلامي الذين كانوا يتبادلون الهدايا فيما بينهم ومع مختلف فئات المجتمع، إلا أن مجموعة منهم شذت عن الأغلبية وأبدت عزوفها عن قبول الهدايا لأسباب مختلفة، يأتي في مقدمتهم الإمام سحنون من الفقهاء الأجلاء، دخل إفريقية سنة 191هـ/ 807م، تميز بزهده إذ لم يكن يقبل الهدية(عياض القاضي، 1989، 87/4)، بل أنه تنازل عن أجرة القضاء الذي تولاه في القيروان مدة ست سنوات(أبو العرب تميم، د. ت: 102)، الأمر الذي يؤكد زهد الرجل وعزوفه عن ملذات الحياة.

ومنهم أيضا أصبغ بن خليل (185- 273هـ/ 801- 886م) الفقيه المالكي الذي لم يكن يقبل من أحد هدية رغم فقره، حتى وإن كانت الهدية بهدف الصلة لا غير، سواء من قبل العوام أو الحكام (الخشني بن حارث، د. ت: 35 و128)، وكذا ابن المجاهد محمد بن أحمد بن عبيد الله الفقيه الزاهد الذي " لم يكن يسمح لأحد في التعرض إليه بهدية أو تحفة قلت أو كثرت، لا من الملوك ولا من غيرهم" (الخشني بن حارث، د. ت: 563- 564)، ودفعته شدة زهده إلى ترك مجلس أبي بكر بن العربي بسبب أن هذا الأخير " كان يدَرِّس وبغلته عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان "(الخشني بن حارث، د. ت: 563)، كما أنه رفض مبلغا من المال عرضه عليه السلطان الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (558 - 580 هـ/ 1163 - 1184م).

وامتنع محمد بن إبراهيم بن محمد بن وضاح هو الآخر عن قبول الهدايا، بل إنه امتنع عن أخذ أجر من الذين أقرأهم القرآن مدة عشرين سنة، وهذا ما يدل على زهده وانقباضه (ابن الأبار القضاعي، 1995: 66/2).

كما رفض القاضي أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى، الذي تولى منصب القضاء بالأندلس في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (300- 350هـ/ 912 – 961م)، قبول التحف والهدايا (عياض القاضي، 1983: 6/ 109)، وربما يكون مرد ذلك إلى أن القاضي كان محل ظِنَّة، لذلك قال محمد بن عبد الله بن عيشون:

هَدِيَّةُ مَن يُهْدي إلَيكَ لِحاجَةٍ حَرامٌ وسُحْتٌ والهَدِيَّةُ كالسِّحْرِ

وَإيّاكَها وَاقْبَلْ نَصيحَةَ ناصِحٍ فَما لك مِن بعْد النَّصيحةِ مِن عُذْرِ

(عياض القاضي، 1983: 174/6). ويقول نفس الشاعر:

إذَا أَتَتِ الهَدِيَّةُ دَارَ قَوْمٍ تَطَايَرَتِ الأَمَانَةُ مِن كُوَاهَا (عياض القاضي، 1983: 174/6).

وفي هذا المضمار يسوق أبو العرب تميم قصة لقاضي إفريقية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري الذي أتاه شاب بمخلاة مملوءة بصلا، فظن أحد جلسائه أنها هدية سيقت إليه ورفض الأكل منها،

فطمأنه القاضي أنها ليست هدية وإنما أرسلت إليه من ضيعته، وأقر جليسه على موقفه، وأضاف قائلا: " إذا رأيت الهدية دخلت إلى القاضي من باب داره، فاعلَم بأن الأمانة خرجت من كوة داره "(أبو العرب تميم، د. ت: 28).

يتضح من خلال ذلك أن القاضي في الغرب الإسلامي كان محل مراقبة وظنة، وأن الهدايا التي كانت تقدم له كانت بمثابة رشاوى، ولم يكن هذا الأمر يدور حول القاضي وحده، بل حول كل من يشغل وظيفة في سلك القضاء، من ذلك أن العدول (انظر التعليق رقم 3) كانوا إذا قبلوا هدية، خاصة من أحد المتحاكمَيْن، اعتبرت رشوة (الخشني بن حارث، 1994: 118).

هذه إذاً نماذج من علماء الغرب الإسلامي الذين كانوا يرفضون أخذ الهدية اتقاء لسوء الظن وابتعادا عن الشبهات وخوفا من الوقوع تحت تأثير الهدية فيزيغوا عن الحق ويضيّعوا الأمانة المتمثلة في الدين الإسلامي عامة والعدل بين الناس خاصة.

وفي مقابل كل ذلك وُجد فريق آخر من العلماء في الغرب الإسلامي، وهم الغالبية، يقبلون الهدية ويتهادون مع غيرهم، وفي ذلك يقول ابن عيشون:

حَلَفْتُ على أنْ لاَ أَرُدَّ هديَّةً وَلاَ أَنْفَعُ المُهْدِي بِشَيْءٍ مَدَى الدَّهْرِ
إِذَا مَا صَدِيقٌ جَاءَنِي بِهدِيَّةٍ قَبِلتُ وعَجَّلْتُ المَثُوبَةَ بِالشُّكْرِ
(عياض القاضي، 1983، 6/ 173)

وكان فقيه الأندلس وعالمها أحمد بن خالد يتلقى الهدايا من الخليفة عبد الرحمن الناصر، إلا أن عددا من العلماء المعاصرين له انتقدوه على ذلك، فوضع كتابا يبين فيه مشروعية قبول الهدية، سواء من السلطان أو من غيره، بالأدلة والحجج الشرعية(القرطبي أبو عبد الله، 1989: 206).

أما عبد الله بن غافق التونسي فلم يكن يكتفي بقبول الهدايا، بل كان لا يتوانى في مكافأة المُهْدِين ولو تكرر ذلك منهم مرات عديدة

(عياض القاضي، 1983: 4/ 398)، وسوف يأتي ذكر نماذج كثيرة من هؤلاء العلماء.

من ذلك يتضح اختلاف وجهات نظر علماء الغرب الإسلامي تجاه قبول الهدايا، وبخاصة تلك التي تأتي من الحكام.

IV) تهادي علماء الغرب الإسلامي:

شكل العلماء في الغرب الإسلامي، مثل نظرائهم في المشرق، حلقة وصل بين الحكام والعامة، وبذلك اتسمت علاقاتهم مع مختلف عناصر المجتمع بالإحترام والتقدير، ومن مظاهر ذلك تبادلهم الهدايا مع هذه العناصر.

أ) تهادي العلماء فيما بينهم:

اختلفت وتنوعت الهدايا التي كان يتبادلها علماء الغرب الإسلامي، لعل أهمها:

1) **الكتب:** وكانت تعتبر أثمن وأهم الهدايا التي يمكن أن يهديها عالم لآخر، وخاصة تلك التي لم يكن المُهدى إليه قد اطلع عليها، ويعود ذلك إلى شغف العلماء للإستزادة من العلم.

وتكون هذه الكتب في الغالب من إنتاج المُهدِي الذي يقدمها إلى أقرباء يحبهم أو أشياخ يجلهم أو أصحاب يفضلهم أو تلاميذ يتخيرهم، من ذلك أن الفقيه ابن العطار أبا عبد الله محمد بن أحمد أهدى لابنه كتابه الموسوم "الوثائق والسجلات" (عياض القاضي، 1983: 7/ 154)، كما أهدى ابن أبي زمنين كتابه الشهير "منتخب الأحكام" لأخيه القاضي أبي بكر(ابن فرحون اليعمري، د. ت:2/ 233).

ومن العلماء من أهدى كتابه لأحد أشياخه تجلة له، مثل محمد بن فتح الذي أهدى لشيخه ابن الأعرابي كتابين "الإخلاص" و"علم الباطن" (ابن الفرضي أبو الوليد، 1988: 73/2)، ومنهم من أهدى كتبا لأصحابه يبتغي من وراء ذلك توثيق الروابط، مثل محمد بن أحمد بن عامر الشاطبي الذي أهدى مجموعة من كتبه لصديقه عبد المنعم بن محمد (الضبي ابن عميرة، 1989: 78/1)، والأفضل أبي عبد الله بن

عيسى الماقري الذي أتحف صديقه ابن عبد الملك المراكشي صاحب "الذيل والتكملة " بكتاب أبي الوليد يوسف بن الدباغ الموسوم "طبقات المحدثين والفقهاء "(ابن عبد الملك المراكشي، 2012: 343/3).

أما أحمد بن كليب فقد أهدى إلى صديقه أبي الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد كتاب الفصيح لمؤلفه أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الملقب بثعلب (الحميدي بن أبي نصر، 1989: 227/1)، إلا أن الدافع الذي دفع ابن كليب إلى ذلك كان خبيثا، إذ أنه كان يعشق أسلم ويشتهي وصاله، حتى أنه أنشد قائلا:

أَسْلَمُ يـا راحـةَ الـعَليلِ رِفقاً على الهائِـمِ النَّحيلِ

وَصْلُكَ أَشْهى إلى فُؤادي من رَحْمَةِ الخالِقِ الجَلِيلِ (الحميدي بن أبي نصر، 1989: 226/1).

وأهدى أبو مروان بن أبي العلاء بن زهر إلى القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد كتابه الموسوم "التيسير في المداواة والتدبير" (ابن أبي أصيبعة موفق الدين، د. ت: 521)، والراجح أن الهدف من هذه الهدية توطيد عرى الصداقة بين هذين العالمين.

وأهدى الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري تفسيره للقرآن المعروف ب " الجواهر الحسان في تفسير القرآن " لأحد تلامذته المسمى ابن سلامة البكري(ابن فرحون اليعمري، د. ت: 258).

ومن العلماء من أهدى كتبا بهدف التخلص منها ليس إلا، وأبرز مثال على ذلك ابن عبد الحكم الذي أهدى كتاب " المستخرجة من الأسمعة" الذي ألفه محمد بن أحمد العتبي، بهدف التخلص منه، إلى رجل يسمى عبيدا، لأنه رأى بأن هذا الكتاب يتضمن عدة أكاذيب، فكره أن يبقى مع بقية كتبه (الخشني بن حارث، د. ت: 120).

2) الأزهار:

بالإضافة إلى الكتب، تهادى علماء الغرب الإسلامي أشياء أخرى من بينها الورود، ومن الأمثلة على ذلك قيام ابن الأبار بإهداء

أزهار إلى صديق له يسمى أبا عبد الإله وكتب له معها أبياتا شعرية أولها:

خُذْها إلَيْكَ أبا عبدِ الإلَهِ فَقَدْ جَاءَتْكَ مثْلَ خُدودٍ زانَهَا الخَفَرُ

فكافأه أبو عبد الإله عليها، وأرسل إليه بهدية سنية، مصحوبة بأبيات شعرية(المقري التلمساني، 1968: 1/ 316). كما أرسل سعيد بن فرج هدية عبارة عن ياسمين أبيض وأصفر إلى عبد الله بن عبد الرحمن الناصر، فكافأه هذا الأخير بطبق مملوء دنانير ودراهم(المقري التلمساني، 1968: 3/ 582).

من ذلك يتبين الذوق الراقي الذي كان يتميز به الأدباء الأندلسيون إذ كانوا يقدمون باقات الورود هدايا للتودد والتواصل، حتى أن سعيد بن فرج سمى باقة الورد التي بعث بها إلى عبد الله تحفة، إذ يقول في أحد البيتين اللذين أصحبهما هديته:

مَوْلاَيَ قَدْ أَرْسَلْتُ نَحْوَكَ تُحْفَةً بِمُرَادِ مَا أَبْغِيهِ مِنْكَ تَذَكُّرُ(ابن سعيد المغربي، 1955: 188/1)

3) الفواكه:

إلى جانب الكتب والأزهار، شكلت الفواكه هي الأخرى موضوع هدايا كان يتحف بها بعض العلماء البعض الآخر، سواء عند عيادة مريض أو إكراما لعالم واعترافا بفضله وقدره، من ذلك أن الفقيه ابن قطبة عاد ابن الجياب أثناء مرضه وحمل معه إليه هدية عبارة عن بضع حبات رمان(المقري التلمساني، 1942: 3/ 196).

أما لسان الدين بن الخطيب فقد بعث إلى أحد أصدقائه بتفاحة(ابن الخطيب لسان الدين، 1989: 1/ 413) يبدو من خلال وصفه لها أنه اختارها بعناية لكي تكون سفيرا عنه إلى صديقه، ولكي يعبر له من خلالها عن تقديره وإخلاص صداقته له، ونفس الشيء بالنسبة لليربوعي القرشي الذي بعث إلى صديق له بسبع حبات إجاص (الحميديين فتوح، 1989: 648/2) مختارات بعناية من حيث الشكل والحجم حتى تنال رضى هذا الصديق وتزداد بها روابط الصداقة بينهما متانة.

4) هدايا متنوعة:

إلى جانب ما سبق ذكره، تبادل علماء الغرب الإسلامي هدايا أخرى ذات قيم مادية ومعنوية مختلفة، فابن المجاهد كان يهدي الكسوة والقوت والمال دفعة واحدة (ابن عبد الملك المراكشي، 2012: 565/3)، وذلك دليل على كرمه، أما ابن البناء أبو الحسن علي فقد أهدى قباقب خشبية إلى لسان الدين بن الخطيب(ابن الخطيب لسان الدين، 1989: 596/2)، ورغم أنها لم تكن ذات قيمة مادية كبيرة إلا أن ابن الخطيب سُرَّ بها أيما سرور وأرسل إلى مُهديها أبياتا شعرية يشكره فيها ويصف القباقب وصفا رائقا. وبدوره أهدى ابن الخطيب إلى أحد القضاة زجاجة عطر وأصحبها أبياتا شعرية جاء في آخرها:

أَرَأَيْتَ بِنْتَ زُجَاجَةٍ ومُجَاجَةٍ تُهْدَى إلى قَاضٍ مِن ابنِ خَطِيبِ

(ابن الخطيب لسان الدين، 1989: 145/1).

كانت هذه بعض النماذج عن الهدايا التي كان يتبادلها علماء الغرب الإسلامي فيما بينهم، وهي كما يلاحظ القارئ قليلة، يكون مرد ذلك، حسب اعتقادنا، إلى عدم تسجيل العلماء لما كانوا يقدمونه أو يتلقونه من هدايا، لأن أغلبهم كان يحتسب ذلك عند الله، وأكثر الهدايا التي عكفوا على تسجيلها تلك التي كانوا يهدونها أو يتلقونها من الحكام، ذلك لأنهم اعتنوا بتدوين حركات وسكنات أفراد الطبقة الحاكمة وكل صغيرة وكبيرة عنهم.

ب) التهادي بين العلماء والحكام:

تميزت العصور الوسطى في العالم الإسلامي بعدة ميزات، لعل من أبرزها العلاقة الوطيدة والحميمية التي قامت بين الحاكم والعالم، والتي يمكن إعادتها إلى حاجة كل منهما إلى الآخر، فالحاكم كان في حاجة إلى العالم الذي بإمكانه إضفاء نوع من الشرعية على حكمه، وتسكين العامة ومنعهم من الثورة عليه، وتخليد مآثره، أما العالم فحاجته إلى الحاكم تكمن في: نيله الحظوة وتعيينه في واحد من المناصب السامية مما ينجر عنه انتقاله من وضع اجتماعي أدنى إلى

آخر أرقى وذيوع اسمه، الأمر الذي يكسبه حظوة لدى العلماء والطلبة ويزيد تهافتهم على مؤلفاته.

هذه العلاقة الحسنة التي قامت بين العالم والحاكم كان من أبرز مظاهرها تبادل الهدايا المختلفة ذات القيم المالية والمعنوية المتفاوتة وهي كالتالي:

1) هدايا العلماء إلى الحكام:

❖ **الكتب:** جرت العادة خلال العصور الوسطى أن يقدم أغلب العلماء المسلمين مؤلفاتهم هدايا إلى شخصيات بارزة في الدولة، إما الحاكم نفسه أو أحد وزرائه أو قائد الجيش، أو أحد الولاة، يسجَّل اسمه في مقدمة الكتاب، حتى أن بعض الكتب أصبحت تعرف بأسماء الأشخاص المهداة إليهم، ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتاب الإدريسي الموسوم بـ "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" الذي عرف لدى بعض علماء العصور الوسطى باسم كتاب رجار (العمري بن فضل الله، 2002: 4/ 203)، نسبة إلى حاكم صقلية رجار الثاني الذي أهدى إليه الإدريسي كتابه(الإدريسي الشريف، 1988: 3- 7).

وفي غالب الأحيان كان المُهدَى إليه يطلب من العالم أن ينسب الكتاب إليه(ابن سعيد المغربي، 1955: 1/ 166)، بل ويقترح عليه أحيانا الموضوع(ابن الفرضي أبو الوليد، 1988: 89)، ذلك أن إهداء الكتاب إلى شخص مثل الخليفة أو الأمير يزيد من أهمية وقيمة هذا الكتاب وشهرته مما يدفع الناس إلى السعي لاقتنائه (ابن عبد الملك المراكشي، 2012: 124/5)، ويعتبر وسيلة من قبل العلماء للإسترفاد واستجداء العطايا والهبات، خاصة إذا استحسن المُهدى إليه ما قُدِّم له (حمادة محمد، 1978: 190).

وفيما يلي جدول ببعض الكتب التي قدمها أصحابها هدايا إلى رجال في السلطة:

عنوان الكتاب	المؤلف (المُهدي)	المهدى إليه	المصدر
الإستيعاب	أحمد بن عبد الملك بن تمام الإشبيلي	الحكم المستنصر	الصلة لابن

	"أبو بكر عبيد الله المعيطي		بشكوال ص 28.
قضاة قرطبة " 100 كتاب "	محمد بن حارث الخشني		قضاة قرطبة، ص 11
المعارف	مطرف بن عيسى الغساني		الصلة، ص 587- 588
كتاب في تاريخ الأندلس	عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي		التكملة ج 4 ص 4.
أخبار الأندلس	إسحاق بن سلمة بن وليد		تاريخ علماء الأندلس، ج 1 ص 89.
مسالك إفريقية وممالكها	الوراق محمد بن يوسف		جذوة المقتبس ص 97.
أشعار الخلفاء من بني أمية	أبو محمد عبد الله بن محمد بن مغيث		جذوة المقتبس ص 252
إصلاح الخلق	عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد		الذيل والتكملة ج 3 ص 20
مسند حديث ابن الأحمر	يعيش بن سعيد بن محمد الوراق		جذوة المقتبس ص 616
تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان	ابن زيد الأسقف القرطبي		نفح الطيب ج 3 ص 186

فقه الحسن البصري	محمد بن أحمد بن محمد بن مفرج		جذوة المقتبس ص 76
فقه الزهري			
مسند حديث قاسم بن أصبغ			
الأمالي	أبو علي القالي		نفح الطيب ج 3 ص 72
الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شعراء جيان	أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجياني		جذوة المقتبس ص 169
الفصوص	صاعد الأندلسي	المنصور بن أبي عامر	الصلة، ص 233.
المجفجف بن غدقان بن يثربي مع الهنوت بنت مخرمة بن أنيف			جذوة المقتبس ص 374
الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء			
الحَمَام	زيادة الله بن علي		جذوة المقتبس ص 343

ربيعة وعقيل	الوزير أبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدة.		مطمح الأنفس ص 211
الوزراء والوزارة	عيسى بن موسى الرازي		التكملة ج 4 ص 4.
الحُجَّاب			
الإكتفاء بالدواء من خواص الأشياء	عبد الرحمن بن إسحق بن الهيثم		عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، ص 493.
مغناطيس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار	إبراهيم بن وزمّر الحجاري	المأمون يحيى بن ذي النون	الإحاطة في أخبار غرناطة ج 3 ص 328
الإغراب في رقائق الآداب	أبو المطرف عبد الرحمن بن فتوح		الذخيرة في محاسن الجزيرة مج1 ص 585
أعلام الكلام	أبو عبد الله بن شرف القيرواني	المعتضد بالله	الذخيرة في محاسن الجزيرة مج4 ص 126
أبكار الأفكار			الذخيرة في محاسن الجزيرة مج4 ص 124
شرح الأشعار الستة وشرح	الأعلم الشنتمري		البيان المغرب في أخبار

الحماسة			الأندلس والمغرب ج3 ص 284.
حديقة الإرتياح في وصف حقيقة الراح	أبو عامر محمد بن مسلمة القرطبي		المغرب في حلى المغرب ج1 ص97 = الذخيرة ج 3 ص 106.
صفوة الأدب ونخبة كلام العرب	أبو عبد الله محمد بن شرف القيراني	محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف	التكملة لكتاب الصلة، ج 1 ص 112- 113.
شرح كتاب سيبويه	علي بن محمد بن خروف الإشبيلي		الذيل والتكملة ج 3 ص 270
سيف الإسلام على مذهب مالك	عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله	أبو الحسن علي بن تميم بن المعز الصنهاجي	التكملة لكتاب الصلة، ج 2 ص 251
نظم القرطين وضم أشعار القطبين كامل الثمالي ونوادر القالي	أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله مروي	محمد بن علي بن حمدون وزير بني الناصر الصنهاجيين	الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج 1 ص 417.
قلائد العقيان	الفتح بن خاقان	أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين	قلائد العقيان، ص 47.

نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان	ابن القطان أبو محمد حسن بن علي الكتامي	المرتضى عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن	البيان المغرب ج 5 ص 446.
شفاء الغلل في أخبار الأنبياء والرسل			
المسموعات (قصائد حول المولد النبوي)			
الأحكام لبيان آياته عليه السلام			
المناجاة			
الدر المنظم في مولد النبي المعظم	أبو القاسم العزفي		
الإقتصاد في صلاح الأجساد	عبد الملك بن زهر	علي بن يوسف بن تاشفين	الذيل والتكملة ج3ص13- 14.
الهبة (أرجوزة في الصيدلة)	محمد بن علي بن سليمان بن رفاعة الجذامي	المنصورأبو يوسف يعقوب بن يوسف	الذيل والتكملة ج 4 ص 489- 490.
صفوة الأدب وديوان العرب	أبو العباس أحمد الجراوي		وفيات الأعيان ج 7 ص 12.
كتاب في العروض	نصر بن عيسى بن نصر بن سحابة	المؤتمن بن هود	التكملة لكتاب الصلة ج 2 ص 212.

المجدولة في الأدوية المفردة	ابن بكلارش	أحمد بن المؤتمن بن هود	عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 501
تاريخ ابن خلدون	عبد الرحمن بن خلدون	أبو العباس الحفصي	دولة الإسلام في الأندلس، ج3 ص 194
المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية	لسان الدين بن الخطيب	السلطان عبد العزيز المريني	نفح الطيب ج 5 ص 181
خلع الرسن في التعريف بأحوال ابن الحسن			
عمل من طب لمن حب		أبو سالم إبراهيم بن علي المريني	ديوان ابن الخطيب ج 2 ص 594- 595
حب الأنيسون	عمران بن أبي عمرو	الأمير عبد الرحمن الأوسط	عيون الأنباء ص 486
المستحسن من الأشعار	الحصري علي بن عبد الغني الفهري	المعتمد بن عباد	نفح الطيب ج4 ص 247
بستان الملوك		جهور بن محمد بن جهور	
المسهب في فضائل المغرب	الحجاري	عبد الملك بن سعيد	المغرب في حلى المغرب ج 2 ص 160

تاريخ الفقهاء والقضاة	ابن عبد البر أحمد بن يحيى	عبد الله بن عبد الرحمن الناصر	ترتيب المدارك ج 6 ص 122
المحكم والمحيط الأعظم	ابن سيدة المرسي	مجاهد العامري	المحكم والمحيط الأعظم ج 1 ص 30
المخصص			المخصص ج 1 ص 36
كتاب الأغذية		الخليفة عبد المؤمن بن علي	ص 535
تدبير الصحة	أبو جعفر أحمد بن حسان	المنصور الموحدي	

من خلال الجدول السابق يمكن الخروج بعدة استنتاجات لعل أهمها الآتي:

- أغلب الكتب المسجلة في الجدول من إنتاج علماء أندلسيين ومهداة إلى شخصيات سياسية أندلسية، الأمر الذي يؤكد اهتمام الأندلسيين بالعلم وتفضيلهم للكتب كهدايا.

- أكثر الشخصيات السياسية الأندلسية التي تلقت عددا كبيرا من الكتب كهدايا تمثلت في حكام الدولة الأموية، وبالأخص الحكم المستنصر والحاجب محمد بن أبي عامر.

- شكلت الكتب ذات المواضيع الأدبية من شعر ونثر وموشحات ونوادر وغيرها نسبة كبيرة ضمن الكتب المهداة، إذ بلغت نسبتها 60 %، وجاءت كتب التاريخ والتراجم في المحل الثاني بنسبة تقارب 22 %، ثم تلتها كتب الفقه والحديث بنسبة 11 %، وذيلت القائمة كتب الطب بنسبة 07 %، مما يعطي الانطباع بأن الأدباء كانوا أغزر

إنتاجا من غيرهم، وأنهم كانوا أكثر المتملقين إلى الحكام، وفي ذلك يقول أحدهم: " وإنما أهدي إلى مولاي خدمتي، وأضع في ميزان اختياره همتي، لأمتاز في جملة عبيده، وأشهر في خدمته وعديده:

وما رغْبَتي في عَسْجَدٍ أستفيدُهُ ولكنها في مفْخَرٍ أستَجِدُّهُ
وكلُّ نوالٍ كان أو هو كائِنٌ فلحظةُ طرفٍ منك عنديَ نِدُّهُ
فكُنْ في اصطناعي محسِنًا كمُجَرِّبٍ يُبِنْ لك تقريبُ الجوادِ وشِدُّهُ
إذا كنتَ في شكٍّ مِن السَّيفِ فابْلُهُ فإمَّا تُنَفِّيهِ وإمَّا تُعِدُّهُ
وما الصَّارِمُ الهِنْدِيُّ إلا كغيرِهِ إذا لم يفَارِقْهُ النجادُ وغمدُهُ (ابن بسام الشنتريني، 2000: 3/ 129- 130)

ورغم ذلك وُجدت عينات من علماء نبذوا التملق إلى الحكام، وفضلوا النأي عنهم وكرهوا إهداء كتبهم إلى أي شخص في السلطة، من هذه العينات نذكر اللغوي ابن التياني تمام بن غالب الذي رفض هدية الأمير مجاهد العامري،حاكم دانية (Denia) والجزائر الشرقية، على أن يرفع كتابه الذي ألفه في اللغة والموسوم "تلقيح العين" إليه، وأصر على أن يبقى هذا الكتاب لله ولطلبة العلم(انظر التعليق رقم 4).

والعينة الثانية التي نستدل بها على ما ذهبنا إليه هو الفقيه المتفنن أبو سعيد يخلفتين ابن تنفليشت بن إبراهيم المتراري البوغاغي الذي ألف كتابا سماه "منار العلم"، فاقترح عليه صديقه الشيخ أبو علي الماقري الضرير بأن يرفعه إلى الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف المستنصر (610-621هـ/ 1213-1224م)، فرفض أبو سعيد اقتراح صديقه رفضا باتا، وعاتبه على ذلك، ولم تعد العلاقة بينهما كما كانت قبل(ابن عبد الملك المراكشي، 2012: 5/ 124- 125).

❖ هدايا أخرى متنوعة:

لم تقتصر هدايا العلماء إلى الحكام على الكتب بل تعداها إلى أخرى مادية، بعضها مغالى في ثمنها وبعضها الآخر هدايا رمزية يهدف صاحبها من خلالها التعبير للحاكم عن صدق ونبل مشاعره.

لعل أهم هدية وأغلاها تلك التي قدمها الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر (المقري التلمساني، 1968: 1/ 356- 360)، ضمت أشياء عديدة متنوعة ثمينة وبكميات كبيرة جدا حتى أنها ضمت قرى بأكملها، الأمر الذي أذهل العلماء خاصة والناس عامة، حتى أن بعض المؤرخين مثل ابن حيان القرطبي وعبد الرحمن بن خلدون (ابن خلدون عبد الرحمن، 2000: 178/4- 179) والمقري صاحب كتاب نفح الطيب سجلوا كل محتوياتها.

ولم تضاه هدية ابن شهيد إلى الناصر إلا هدية الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي (ابن الأبار، 1985: 257/1- 267) إلى الخليفة الحكم المستنصر، والتي خلدها المقري وابن خلدون في كتابيهما (ابن خلدون عبد الرحمن، 2000: 185/4 = المقري التلمساني، 1968: 1/ 382).

ومن الهدايا العجيبة والثمينة التي قدمها العلماء للحكام، هدية المنصور بن أبي عامر، قبل توليه الحجابة، التي قدمها إلى صبح زوجة الخليفة الحكم المستنصر، وتتمثل في مجسم قصر مصنوع من الفضة الخالصة، أنفق في صنعه مبالغ مالية طائلة، وأثناء نقله من دار ابن أبي عامر إلى قصر الخليفة شاهد الناس منه منظرا بديعا، لم تر العيون أعجب منه فتحدثوا بشأنه دهرا (ابن عذاري المراكشي، 1983: 2/ 252)، وكان ذلك سببا في ارتقاء ابن أبي عامر المناصب إلى أن وصل إلى منصب الحجابة.

إلى جانب الهدايا الضخمة والثمينة، قدم بعض العلماء إلى الحكام هدايا بسيطة تكمن قيمتها في رمزيتها، من ذلك بواكير النباتات من فواكه وأزهار، منها على سبيل المثال تقديم أبوالوليد بن زيدون باكورة تفاح إلى المعتضد بن عباد حاكم إشبيلية (Sevilla)، كما أهدى أبو الأصبغ بن عبد العزيز باكور بهار(انظر التعليق رقم 5) إلى الوزير أبي عامر بن مسلمة(ابن سعيد، 1955: 97/1).

واكتفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن بيش العبدري (الذهبي شمس الدين، 1413هـ/ 1993م: 79/37) بإهداء أقلام إلى مالك سبتة الموفق أبي العباس أحمد بن أبي الفضل السبتي (الصفدي صلاح

الدين، 2000: 7/ 189- 190)، وأرفقها بمجموعة من الأبيات الشعرية عبر له فيها عن فيض كرمه.

كما بعث الوزير ابن زمرك(ابن الخطيب لسان الدين، 2003: 2/ 196- 206) بهدية رمزية إلى صاحب مملكة غرناطة السلطان النصري الغني بالله (ابن الخطيب لسان الدين، 2003: 2/ 3- 50)، وهي عبارة عن باقة ورد مصحوبة بأبيات شعرية كلها تعبير عن الشوق إلى لقاء السلطان والتشرف بتقبيل يديه (المقري التلمساني، 1942: 2/ 134).

وفضَّل بعض العلماء تقديم حيوان معين كهدية إلى الحكام، من ذلك تقديم أبي العلاء صاعد الأندلسي أيلا إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر وكتب معه مجوعة من الأبيات الشعرية:

يَا حِرْزَ كُلِّ مُخَوَّفٍ وَأَمَانَ كُلِّ مُشَرَّدٍ وَمُعِزَّ كُلِّ مُذَلَّل
عَبْدٌ نشلت بِضَبْعِهِ، وَغَرَسْتَهُ فِي نِعْمَةٍ أَهْدَى إِلَيْكَ بِأَيَّلِ
سَمَّيْتُهُ غَرْسِيَّةَ، وَبَعَثْتُهُ فِي حَبْلِهِ لِيُتَاحَ فِيهِ تَفَاؤُلِي
فَلَئِنْ قَبِلْتَ، فَتِلْكَ أَسْنَى نِعْمَةٍ أَسْدَى بِهَا ذُو نِعْمَةٍ وَتَطَوُّلِ
(الحميدي بن فتوح، 1989: 378)

ويقال بأن الله مَنَّ على المنصور بن أبي عامر بأسر غرسية في نفس اليوم الذي أهداه فيه صاعد الأيل.

كما أهدى الشاعر النصراني ابن المرعزي كلبة صيد إلى المعتمد بن عباد، مرفوقة بأبيات شعرية يبين فيها خصائص هذه الكلبة التي تتفوق بها عن بقية كلاب الصيد، من سرعة العدْوِ وتطور حاسة الشم لديها، ولذلك آثر بها المعتمد (المقري التلمساني، 1968: 3/ 521).

أما الشاعر خلف بن رضا فقد أهدى خشفا (انظر التعليق رقم 6) إلى الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم (الحميدي بن فتوح، 1989: 199- 201) وبعث معه بأبيات شعرية لمح فيها إلى أفضال الوزير عليه (الحميدي بن فتوح، 1989: 322).

مما سبق يتبين أن أغلب هدايا العلماء إلى الحكام كانت تتمثل في الكتب التي كان الحكام يتنافسون عليها إما لتخليد ذكرهم أو للاستفادة مما تحويه من أفكار أو لملء خزائنهم بالكتب والتباهي بها على غيرهم ليس إلا.

2) هدايا الحكام إلى العلماء:

من باب قبول الهدية والثواب عليها كما كان يفعل رسول الله ρ، كان حكام الدول يثيبون العلماء على الهدايا التي يقدمونها لهم بهدايا أخرى مختلفة، وأحيانا يقدم الحاكم هدية إلى العالم اشتراء لذمته أو استرضاء له أو خوفا من العار، كما قال أحد الشعراء:

بَعَثْتُ بِهَا لا رَاضِيَاً لَكَ بِالذِي بَعَثْتُ بِهَا إِلاَّ فِرَاراً مِنَ العَارِ (ابن سعيد المغربي، 1955: 2/ 282)

وتتمثل هذه الهدايا في:

❖ **الأموال:**

يشكل المال الوسيلة الهامة المتاحة للحكام لبلوغ أهدافهم وتحقيق أمانيهم، وهو المُحَبَّبُ إلى أغلب النفوس البشرية، لذا أغدق به غالبية الحكام على العلماء لأغراض مختلفة.

كان بعض الحكام يهدي مبالغ مالية إلى الأدباء دون أن يحيط علما بقيمة المبلغ المقدم، فقد أهدى المعتمد بن عباد أبا العرب الصقلي(الكتبي صلاح الدين، 1974: 144/4) خريطتين مملوءتين قطعا نقدية وجملا من عنبر مرصع بنفيس الدر(المقري التلمساني، 1968: 569/3)، كما أهدى الأمير عبد الرحمن الأوسط (206 – 238هـ/ 822 – 852م) مبلغ ستة آلاف دينار في يوم واحد إلى المغني زرياب(ابن سعيد المغربي، 1955: 51/1)، ووزع المنصور بن أبي عامر مالا جزيلا لم تعرف قيمته على جلسائه الذين حضروا مجلس أنسه، كان على رأسهم وزيره ابن شهيد، لمجرد أنه تسلى وضحك (المقري التلمساني، 1968: 261/3).

وكان الحكم المستنصر يوسع على العلماء، مثل أبي علي القالي، بالأموال تشجيعا لهم على مواصلة إنتاجهم الفكري، حتى يظفر منهم على النسخ الأولى مما يؤلفون(المقري التلمساني، 1968: 75/3).

واصل المنصور بن أبي عامر سياسة الحكم المستنصر في الترحيب بالعلماء وإتحافهم بالهدايا، وبخاصة أبي العلاء صاعد الأندلسي الذي أهدى إلى المنصور كتاب " الفصوص "، فأثابه عليه بخمسة آلاف دينار(ابن بشكوال أبو القاسم، 1955: 233)، وكانت هذه واحدة من هدايا أموال عديدة منحها المنصور لصاعد، حتى أن هذا الأخير صنع قميصا من رقاع الخرائط التي وصلت إليه فيها صلاته ولبسه تحت ثيابه ثم دخل به على الحاجب المنصور بن أبي عامر، فازداد حظوة لديه (ابن بسام الشنتريني، 2000: 22/4).

وعلى خلاف المستنصر بالله والمنصور بن أبي عامر، كان بعض الحكام يضنون بالمال على العلماء ولا يعطونهم منه إلا القليل، إذ أن أحد رؤساء المرابطين لم يدفع مقابل قصيدة مدحه بها أحد شعراء مدينة رندة (Ronda) سوى عشرة دنانير (ابن سعيد المغربي، 1955: 337/1)، في حين كان حكام آخرون يمنحون على ذلك الآلاف منها.

فغالبية الحكام إذاً كانوا يتحفون العلماء بالأموال الجزيلة، لذلك تسابق أغلب هؤلاء الأخيرين على أبواب الحكام للظفر بنصيب من هذه الأموال التي كانت تساعدهم على تحسين مستواهم الاجتماعي (المقري التلمساني، 1968: 571/3).

❖ الغلمان والجواري:

اعتبر الغلمان والجواري من الهدايا التي كان يمنحها بعض الحكام للعلماء، من ذلك أن الأمير الحكم بن هشام (180- 206هـ/ 796- 822م) قدم هدية كبيرة كانت من ضمنها جارية من جواريه ومجموعة من مماليكه (المقري التلمساني، 1968: 331/3) إلى القاضي محمد بن بشير المعافري (عياض القاضي، 1983: 327/3-339)، بهدف استرضائه ورجوعه إلى منصب القضاء.

أما المنصور بن أبي عامر فقد أهدى إلى وزيره الأديب أحمد بن عبد الملك بن شهيد سبية من نبيلات الروم تصحبها ثلاث جواري من بين السبي الذي عاد به منغزاة له في دار الحرب شمال الأندلس (ابن بسام الشنتريني، 2000: 24/4- 25).

وأهدى الوزير أبو بكر بن سعيد(ابن سعيد المغربي، 1955: 163/2)غلاما صغيرا إلى الشاعر الهَجَّاء أبي بكر المخزومي (ابن الخطيب لسان الدين، 2003: 231/1- 235) ليرضيه وليشتري منه عرض عشيقته نزهون القلاعية (ابن الأبار القضاعي، 1986: 236- 238) في المجلس الذي جمعهما به(ابن الخطيب لسان الدين، 2003: 235/1).

وكان الشاعر الماجن أبو محمد عبد المولى حسن الخط، لذلك كان يكلفه أحد أمراء غرناطة من الموحدين بنسخ الكتب، ولما علم هذا الأمير أن عبد المولى غير متزوج أهدى إليه جارية من جواريه (المقري التلمساني، 1968: 3/ 512).

ورغم ذلك وُجد بعض العلماء الذين كانوا يرفضون مثل هذه الهدايا، وبخاصة الغلمان تجنبا لسوء الظن بهم، من ذلك أن الأديب الشاعر عبد الله بن عاصم خَيَّره الأمير محمد بن عبد الرحمن (238 – 273هـ/ 852 – 886م)، بعد مجلس أنس لهما، بين بدرة وغلام جميل الصورة كان يسقيهما، فاختار ابن عاصم البدرة دفعا للشبهة وسوء الظن(الحميدي بن فتوح، 1989: 416- 417).

من ذلك يتبين أن إهداء الحكام للجواري والغلمان كان قليلا جدا، إذ لم نسجل خلال تصفحنا للمصادر والمراجع التي تمكنا من الوصول إليها سوى الحالات المذكورة أعلاه، مما يسمح لنا بالاعتقاد بأن الحكام لم يكونوا يفضلون إهداء الجواري والغلمان نظرا لتعلقهم بهم.

❖ الوظائف العليا:

كان تعيين الأشخاص في المناصب العليا من اختصاص الحاكم الأعلى في الدولة أو من ينوب عنه أو من يمثله في الولايات، لذلك كان هؤلاء الأخيرون يحابون بها أحيانا العلماء الذين يقدمون لهم

خدمة أو هدية سنية، إذ رفع عبد الرحمن الناصر شأن وزيره أحمد بن عبد الملك بن شهيد ورفع منزلته فوق كل الوزراء وسماه ذا الوزارتين(المقري التلمساني، 1968: 356/1)، كل ذلك ردا على الهدية التي قدمها له الوزير، وقد أشرنا إليها أعلاه.

أما ابنه الحكم المستنصر فقد قدم كلا من ابن المكوي أحمد بن عبد الملك بن هاشم الإشبيلي (ابن بشكوال أبو القاسم، 1955: 29)وأبي بكر محمد بن عبيد الله القرشي المعيطي (ابن الفرضي أبو الوليد، 1988: 2/ 80- 81) إلى الشورى لأنهما لبيا رغبته واشتركا في تأليف كتاب في الفقه المالكي من مائة جزء بعنوان "الاستيعاب الكبير" (ابن بشكوال أبو القاسم، 1955: 28).

كما خلع المقتدر بن هود حاكم مملكة سرقسطة (Zaragoza) (438- 474هـ/ 1046- 1081م) على الأديب الشاعر عبد الملك بن غصن(ابن عبد الملك المراكشي، 2012: 24/3) ثوب وزارته، بعدما تدخل هذا الحاكم لدى المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة (Toledo) (435- 467هـ/ 1043- 1074م) لإطلاق سراح الشاعر المذكور، فلما دخل هذا الأخير سرقسطة مدح المقتدر بقصيدة أعجبته كثيرا فعينه وزيرا (المقري التلمساني، 1968: 364/3).

يتضح مما سبق أن المناصب العليا كالوزارة والشورى كان الحكام يقدمونها أحيانا كثواب على هدايا أو عرفانا منهم لعلماء قدموا لهم خدمة أو مدحوهم بقصيدة خلدت ذكرهم.

❖ **القماش والثياب:**

كانت قطع القماش غالية الثمن والثياب الفاخرة أحد أكثر أنواع الهدايا التي كان يتحف بها الحكام العلماءَ، إما لوحدها أو أن تشكل جزء من هدية سنية.

فبعض الحكام كانوا يخلعون على شعراء أو أدباء أو علماء ما يكون عليهم من ثياب ملوكية فاخرة، من ذلك أن جعفر بن علي بن حمدون(ابن خلكان شمس الدين، 1971: 360/1) والي الفاطميين على المسيلة خلع على الشاعر الأندلسي ابن هانئ(ابن خلكانشمس الدين،

1971: 421/4) الثياب الملوكية التي كان يرتديها(ابن سعيد المغربي، 1955: 98/2).

وكانت كل أنواع الملابس قابلة للإهداء، مثل الغفائر (ابن الخطيب لسان الدين، 2003: 391/2) والغلائل والطيقان والعمائم (ابن بسام الشنتريني، 2000: 17/4)، هذه الأخيرة التي كانت تعتبر تيجانا يحلي به الحكام رؤوس العلماء، وفي ذلك يقول ابن زمرك (المقري التلمساني، 1942: 2/ 7- 208) بعد أن توجه السلطان المريني أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي (760- 764هـ/ 1359 -1361م) بعمامة:

تَـوَّجْـتَـني بِـعَـمـامَـهْ تُوِّجْتَ تَـاجَ الكَرَامَـهْ

فَرَوْضُ حَمْدِكَ يُزْهَى مِـنّي بِـسَـجْعِ الحَمَامَهْ (المقري التلمساني، 1942: 2/ 15).

ناهيك عن قطع القماش الفاخرة غير المخيطة مثل الرازي البغدادي(المقري التلمساني، 1968: 4/ 96)، بل أن خدم بعض العلماء كانوا يستفيدون أحيانا من مثل هذه الهدايا (المقري التلمساني، 1968: 3/ 84).

❖ **هدايا أخرى:**

إضافة إلى الهدايا التي سبق ذكرها، كان الحكام يبعثون إلى العلماء بهدايا رمزية أخرى مثل الفواكه، إذ كان السلطان النصري الغني بالله يهدي الشاعر الأديب ابن زمرك أنواعا من الفاكهة مثل الرطب وحب الملوك والتفاح والأترج والباكور بالإضافة إلى الثريد (المقري التلمساني، 1942: 125/2- 126)، كما أُهدي ابنُ الخطيب عنبا لأول فصله(ابن الخطيب لسان الدين، 1989: 745/2).

وأهدى المنصور بن أبي عامر محفة(انظر التعليق رقم 7) خيزران إلى وزيره أبي عامر بن شهيد (ابن بشكوال أبو القاسم، 1955: 338- 339) عندما أصيب بنقرس.

من خلال ذلك يتبين أن أغلب هدايا الحكام إلى العلماء كانت تتمثل في الأموال، التي كانت تتوفر وبشكل كبير لديهم ولحاجة عدد

من العلماء لها وسعي العدد الآخر إلى الاستزادة منها، ثم تليها الجواري والغلمان فالثياب وهدايا أخرى مختلفة مثل الفواكه، ويستفاد من ذلك أيضا أن أغلب هدايا الحكام كانت تذهب إلى العلماء، الأمر الذي يوضح العلاقة الطيبة التي كانت تربط العلماء بالحكام لحاجة كل طرف منهما إلى الآخر.

ج) التهادي بين العلماء والعوام:

سبق أن أشرنا إلى أن العلماء شكلوا همزة وصل بين الحكام والعامة، مما يدفع إلى القول بوجود علاقات وطيدة بين العلماء وعامة المجتمع ومن أبرز ما يميز هذه العلاقة تبادل الهدايا بين هذين الطرفين.

1) هدايا العامة إلى العلماء:

اختلفت وتنوعت هدايا العامة إلى العلماء، وتمثلت أساسا في أشياء تروق إلى هؤلاء الأخيرين أو تنفعهم في شيء من دنياهم ومنها الكتب، إذ جلب أحد التجار من العراق نسخة من كتاب "القانون" لابن سينا وأهداها إلى أبي مروان بن زهر (الذهبي شمس الدين، 2006: 596/19) حتى يتقرب منه (ابن أبي أصيبعة موفق الدين، د. ت، 517-518)، الأمر الذي يوضح مكانة العلماء لدى العوام، وسعي هؤلاء إلى التقرب منهم بإتحافهم بالهدايا.

وكانت المأكولات من الأشياء التي كانت تُهدى إلى العلماء، ومن بينها الفواكه مثل التفاح، إذ أَهدى غلام جميل الصورة تفاحة إلى الشاعر إسحاق بن إسماعيل المنادي الذي أنشد أبياتا خلدت هذه الصورة (الحميدي بن فتوح، 1989: 258).

كما كان أبو العباس الشهير بالبريريق يتلقى كل سنة هدية من أحد أصدقائه تتمثل في أول العنب الناضج الطيب الذي يقطفه من حائطه الخاص (ابن عبد الملك المراكشي، 2012: 564/3)، يستخلص من ذلك العناية والاحترام اللذان كان يحظى بهما هذا العالم من قبل العامة إلى درجة أنهم كانوا يؤثرونه على أنفسهم.

أما لسان الدين ابن الخطيب فقد أهدي طيفورا (انظر التعليق رقم 8) عليه طعام قليل لا يسمن ولا يغني من جوع، فأنشد فيه أبياتا تشير إلى هذا المعنى (ابن الخطيب لسان الدين، 1989: 2/ 554)، ومما لا شك فيه أن هذا الطيفور يكون قد أهدي إليه من طرف أسرة متواضعة الحال ليس لديها طعاما كثيرا تهديه له.

زيادة على ذلك تلقى بعض العلماء هدايا عبارة عن حيوانات إما للتسلية أو للاستهلاك، إعظاما لقدرهم وإجلالا لمكانتهم، فقد تلقى العالم الجليل ابن عبد البر النمري من أحد الفتيان هدية عبارة عن غزال أهيف ولوحة شطرنج بديعة الصنع (ابن بسام الشنتريني، 2000: 3/ 161- 163)، مما يدل على المكانة التي كان يتمتع بها ابن عبد البر في الأندلس.وأُتحف الأديب الشاعر أبو عبد الله بن السراج المالقي بهدية عبارة عن قفص داخله طائر يغرد، أهدته إياه جارية كان يهواها (ابن بسام الشنتريني، 2000: 1/ 660)، كما تلقى العالم يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي هدية من البادية من ضمنها ديك، فأنشد هذا العالم أبياتا عبارة عن حوار بينه وبين الديك (ابن الخطيب لسان الدين، 2003: 341/4)، إذ يبدو أن هذا الأخير أثار انتباه وإعجاب العالم أكثر من الأشياء الأخرى التي تضمنتها الهدية.

وكان معلمو الصبيان القرآن في الكتاتيب يتلقون هدايا من قبل أولياء الأطفال في أوقات معينة(ابن أبي زيد القيرواني، 2012: 380/2) كالمواسم والأعياد وغيرها.

ومن جهة أخرى كان بعض العوام يقدمون هدايا مزرية لا قيمة لها، تنال من كبرياء العلماء وتبعث فيهم الاشمئزاز والازدراء لها، فالشاعر أبو بكر بن عمار مدح أحد أعيان مدينة شلب (Silves) بقصيدة وانتظر منه أن يثيبه عليها ثوابا لائقا، إلا أن الرجل استغل الأوضاع المزرية التي كان يمر بها ابن عمار وأهداه مخلاة(انظر التعليق رقم 9) شعير، فأصيب ابن عمار بالذهول وحز ذلك في نفسه، ولكنه قبلها ليرمق بها حصانه، وظل يحتفظ بهذه المهانة إلى أن أصبح وزيرا فبحث عن صاحب الهدية وقرره بفعله وعاتبه عتابا شديدا ثم أعطاه مخلاة مملوءة قطعا نقدية، وقال له: " لولا حُرْمتُك لأوْجَعْتُك

أدباً، ولو ملأتَ تلك أمس بُرّاً، لملأتُ لك اليوم هذه تِبْراً " (ابن بسام الشنتريني، 2000: 2/279- 280).

وعوتب أحد شعراء شذونة (Sidonia) يكنى اليحصبي لقبوله هدية تافهة لا تليق بمقامه، قدمت إليه من طرف أحد اللئام بعد أن مدحه اليحصبي بقصيدة شعرية، فرد هذا الأخير على معاتبيه بقوله:

أُلامُ علـى أَخذِ القليلِ وإنّما أُعـامِـلُ أقـوامـاً أقـلَّ مـن الـذَّرِّ

فَإِنْ أنَا لمْ آخُذْهُ كنْتُ مُقَصِّراً وَلا بُدَّ منْ شيْءٍ يُعِينُ على الدَّهْرِ

(الحميدي بن فتوح، 1989: 647).

فالعامة، على كل حال، كانت تحترم وتجل العلماء وتحاول أن تعبر لهم عن ذلك من خلال الهدايا التي كانت تقدمها لهم، عدا بعض الحالات القليلة التي أهدي فيها العلماء هدايا دون قيمتهم من قبل بعض اللئام الذين لا يقدرون الناس حق قدرهم.

2) هدايا العلماء إلى العوام:

شُهِرَ عن العلماء عامة وعلماء الغرب الإسلامي خاصة أنهم كانوا كرماء، فإذا كانت هداياهم إلى الحكام تشكلت في معظمها من المؤلفات، فإن تلك التي كانوا يتحفون بها العامة كانت في أغلبها مادية، أي أشياء تساعد الإنسان على تجاوز صعوبات العيش، أو أشياء رمزية يرغب العوام في الاحتفاظ بها ذكرى من عالم رباني مبجل.

فمن قصص كرم العلماء تلك التي وردت في كتاب "المطرب"، مفادها أن أبا عامر بن شهيد قصده رجل من أهل طليطلة تردت به الحال إلى الأسوإ، فمنحه أبو عامر، على وجه الهبة أو الهدية، دارا مملوءة نعماً كثيرة وفرشا وثيرة، ومركبا وغلاما، كما كساه وأفراد أسرته كسوة رائقة (ابن دحية الكلبي، 1955: 158- 159).

وفي نفس هذا السياق، فإن الوزير علي بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري منح على سبيل الهدية أحد أصدقائه، من الذين ساءت

حاله، ربع ثروته وكتب له بذلك عقدا ودفعه إليه (ابن دحية الكلبي، 1955: 148).

أما الفقيه ابن ميقل محمد بن عبد الله بن أحمد البكري "فكان أكرم الناس على توسط ماله، كان يطعم ويضيف، ويهادي ويتحف بفاكهة جنة له كانت معظم ماله، وقد أضاف قوما أعواما" (ابن بشكوال أبو القاسم، 1955: 499).

هذه عينات من العلماء الذين اتصفوا بالكرم الحاتمي، إذ كانوا يهدون هدايا تغني المُهدى إليه عما سواها، وإلى جانبهم وُجد علماء قدموا هدايا رمزية بهدف الذكرى إلى بعض العوام، منهم أَبُو بكر بن الصَّابُونِي الذي بعث إلى محبوبته بمرآة كهدية منه لتتذكره بها ولتستعملها للحفاظ على حسنها (ابن سعيد المغربي، 1955: 268/1).

أما أبو جعفر الإلبيري فقد أهدى طاقية للذكرى إلى أحد العوام عربونا له على المحبة والتقدير، وهذا ما يتضح من خلال الأبيات التالية التي بعث بها مع الطاقية:

خُذْها إليك هدِيَّةً مِمَّـن يُعِزُّكَ علَى أُنَاسِكْ
اخْتَرْتُها لك عندما أضْحَتْ هدِيَّةَ كلِّ نَاسِكْ
أرْسَـلْـتُـها طاقِيّةً لِتَنُوبَ عن تَقْبِيلِ رَاسِكْ (المقري التلمساني، 1968: 678/2).

من خلال هذه العينات يتضح أن هدايا العلماء إلى العامة تراوحت بين المسكن المجهز تجهيزا كاملا وبين الطاقية، وهذا دليل على مدى كرمهم من جهة وعلى علاقاتهم الطيبة بالعامة.

الخاتمة:

صفوة القول أن الهدية شرعت في الإسلام لما لها من تأثير إيجابي على العلاقات بين أفراد المجتمع، بحيث أنها تقضي على الحسد والضغينة والفرقة، لذلك كان الرسول صل الله عليه وسلم، يقبلها ويثيب عليها، فاستن به غالبية الصحابة ثم التابعون ثم المسلمون

الذين جاؤوا بعد ذلك، ومن بينهم العلماء في الغرب الإسلامي إبان العصر الوسيط.

هؤلاء الذين كانوا يتهادون فيما بينهم ومع الحكام ومع العامة، مع اختلاف الهدايا التي كانوا يوجهونها إلى كل جهة من هذه الجهات أو يستقبلونها منها، والملاحظ أن أكثر جهة تعاملوا معها تمثلت في الحكام.

ويعود تعامل العلماء مع الحكام بكثافة إلى حاجة كل فريق إلى الآخر، إذ شكلت الكتب أكثر ما كان يهديه العلماء إلى الحكام، بينما كانوا يتلقون منهم المبالغ المالية والمناصب العليا والأقمشة والثياب، والأهم من ذلك أن العلماء نالوا حظوة واحتراما لدى الحكام في الغرب الإسلامي، مما يوحي بالدور الحساس الذي كانوا يلعبونه في مجتمعات الغرب الإسلامي والمتمثل في حفظ استقرارها وتوازنها.

على كل يبقى موضوع هدايا العلماء يحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب، وما قمنا به لا يعدو أن يكون فتحا لباب هذا الموضوع ليحظى من قبل الباحثين بمزيد من الاهتمام والبحث العميق والموسع.

التعليقات:

1_ من بين ما ألف في هذا الموضوع: الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي، التحف والهدايا، د.ط /عبد الرحيم بن إبراهيم السيد الهاشم، الهدايا للموظفين - أحكامها وكيفية التصرف فيها، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1426هـ/ سعيد وجيه سعيد منصور، أحكام الهدية في الفقه الإسلامي، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2011...

2_ وهم سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير وخارجة بن زيد وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعبيد الله بن عبد الله بن عتبةَ وسليمان بن يسار. (ابن الصلاح تقي الدين، 1406هـ/ 1986م: 305)

3_ العدول هم مساعدو القاضي ومعاونوه، يقومون بوظيفة الشهود ويكتبون العقود، ويجب أن يكونوا مستقيمين ولا يقبلون رشوة. (دُوزِي رينهارت، من 1979 - 2000 م، 158/7).

4_ يمكن العودة إلى هذه القصة مع ترجمة ابن التياني: (ابن سعيد المغربي، 1955:1/ 166 = ابن بشكوال أبو القاسم، 1955: 123).

5_ البهار العرار ويقال له عين البقر وهو بهار البر، وهو نبت جعد له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع. (ابن منظور الإفريقي، 1414هـ/ 1993م: 84/4، مادة بهر).

6_ الخشف هو الظبي أوّل مولده أو أول مشيه. (ابن منظور الإفريقي،1414هـ/ 1993: 70/9، مادة خشف).

7_ المحفة هي سرير له ذراعان من كل ناحية، ليسهل حمله، يستلقي فوقه المريض العاجِز عن المشي، يسمى بالفرنسية (civière). (أحمد مختار عبد الحميد وآخرون، 1429،1هـ/2008 م: 526/1).

8_ طَيْفُور، وجمعها طيافير وطيافر وطوافير، وهو صحن عميق أو صحفة عميقة أو طبق عميق. (دوزي رينهارت، من 1979- 2000: 57/7).

9_ المخلاة هي كيس يعلق على رقبة الدابة يوضع فيه علفها. (أحمد مختار عبد الحميد، 1429 هـ/ 2008 م: 694/1).

المراجع:

_ ابن الأبار القضاعي، تحفة القادم، تحقيق إحسان عباس، (1406هـ/ 1986م)، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
_ ابن الأبار القضاعي، (1415هـ/1995م)،التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، د. ط، بيروت، دار الفكر للطباعة.
_ ابن الأبار القضاعي، (1985)، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط2، القاهرة، دار المعارف.
_ ابن الأثير عز الدين بن عبد الواحد الشيباني، (1415هـ/1994م)،أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط 1،بيروت،دار الكتب العلمية.
_ الإثيوبي الوَلَّوِي محمد بن علي بن آدم،(1424هـ/2003م)، شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»،ط 1،مكة المكرمة،دار آل بروم للنشر والتوزيع.
_ أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، (1429هـ/2008م)،معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، الرياض، عالم الكتب.
_ الإدريسي الشريف محمد بن عبد الله،(1409هـ/1988م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط 1،بيروت،عالم الكتب.
_ ابن أبي أصيبعة موفق الدين، د. ت، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، د. ط، بيروت، دار مكتبة الحياة.

_ الألباني ناصر الدين، (1422هـ/ 2002م)، مختصر صحيح الإمام البخاري، ط 1،الرياض،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
_ الباباني البغدادي إسماعيل بن محمد، د. ت، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
_ البخاري محمد بن إسماعيل، (1409هـ/1989م)، الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط 3،بيروت،دار البشائر الإسلامية.
_ البخاري محمد بن إسماعيل، (1422هـ)،صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط 1، بيروت، دار طوق النجاة.
_ ابن بسام الشنتريني، (2000)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق إحسان عباس، ط 1،بيروت،دار الغرب الإسلامي.
_ ابن بشكوال أبو القاسم،(1374هـ/1955م)،الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط 2،القاهرة،مكتبة الخانجي.
_ الترمذي محمد بن عيسى، (1998م)،الجامع الكبير- سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، د. ط،بيروت،دار الغرب الإسلامي.
_ ابن حجر العسقلاني،(1415هـ)،الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط 1،بيروت،دار الكتب العلمية.
_ الحميدي محمد بن فتوح بن أبي نصر، (1410هـ/1989م)،جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 2،بيروت،دار الكتاب اللبناني.
_ ابن حنبل أحمد،(1421هـ/2001م)، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، ط 1،بيروت،مؤسسة الرسالة.
_ الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي، (1956)، التحف والهدايا، تحقيق سامي الدهان، د.ط، القاهرة، دار المعارف.
_ الخشني محمد بن حارث،(1992)، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لويس أبيلا ولويس مولينا، د. ط،مدريد،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي.
_ الخشني محمد بن حارث، (1415هـ/1994م)،قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، نشره السيد عزت العطار الحسني، ط 2،القاهرة،مكتبة الخانجي.
_ ابن الخطيب لسان الدين،(1424هـ/2003م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي طويل، ط 1،بيروت،دار الكتب العلمية.
_ ابن الخطيب لسان الدين،(1409هـ/1989م)، ديوان ابن الخطيب، تحقيق محمد مفتاح،ط 1،الدار البيضاء،دار الثقافة للنشر والتوزيع.
_ ابن خلدون عبد الرحمن، (1421هـ/2000م)،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط 3،بيروت،دار الفكر.

_ ابن خلكان شمس الدين، (1971)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس،ط 1،بيروت،دار صادر.
_ ابن دحية الكلبي، (1374هـ/1955م)،المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياريوحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، د. ط، بيروت، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع.
_ دُوزي رينهارت،(من1979 إلى 2000م)،تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، ط 1،العراق،وزارة الثقافة والإعلام.
_ الذهبي شمس الدين بن قايماز،(1427هـ/2006م)، سير أعلام النبلاء، د. ط، القاهرة،دار الحديث.
_ الذهبي شمس الدين بن قايماز، (1413هـ/1993م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري،ط 2،بيروت،دار الكتاب العربي.
_ ابن أبي زيد القيرواني، (2012)، فتاوى مالك الصغير، تحقيق حميد بن محمد لحمر، ط 1، القاهرة، دار اللطائف.
_ سباهتش عمر، (1421هـ/2000)، التحولات السياسية في عهد معاوية بن أبي سفيان: دراسة لطبيعة العلاقات بين القيادتين السياسية والعلمية،مجلة إسلامية المعرفة، الأردن،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، المجلد 6، العدد 20، صص 61- 107.
_ ابن سعيد المغربي الأندلسي، (1955)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط 3، القاهرة، دار المعارف.
_ سعيد وجيه سعيد منصور،(2011)، أحكام الهدية في الفقه الإسلامي، أطروحة غير منشورة لنيل شهادة ماجستير في الفقه والتشريع، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
_ السيوطي جلال الدين، د. ت، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الرياض، دار طيبة.
_ ابن أبي شيبة أبو بكر العبسي،(1409هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط 1،الرياض،مكتبة الرشد.
_ الشيرازي أبو اسحاق إبراهيم بن علي، (1970)، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، ط 1،بيروت،دار الرائد العربي.
_ ابن الصلاح تقي الدين،(1406هـ/1986م)، معرفة أنواع علوم الحديث أو مقدمة ابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، د. ط، سوريا - بيروت، دار الفكر المعاصر.
_ صلاح الدين الكتبي بن شاكر،(1974)، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، ط 1، بيروت، دار صادر.

_ الصفدي صلاح الدين بن أيبك، (1420هـ/2000م)،الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث.
_ عبد الرحيم بن إبراهيم السيد الهاشم،(1426هـ)،الهدايا للموظفين - أحكامها وكيفية التصرف فيها، ط1،الرياض،دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.
_ ابن عبد الملك المراكشي، (2012م)،الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف،ط 1،تونس،دار الغرب الإسلامي.
_ ابن عذاري المراكشي، (1983م)،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط 3،بيروت، دار الثقافة.
_ أبو العرب تميم، (د. ت)،طبقات علماء إفريقية،د. ط، بيروت، دار الكتاب اللبناني.
_ الغزالي أبو حامد، (1426هـ/2005م)، إحياء علوم الدين،ط 1،بيروت،دار ابن حزم.
_ العمري بن فضل الله، (1423هـ/2002م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط 1، أبو ظبي، المجمع الثقافي.
_ ابن عميرة الضبي،(1410هـ/1989م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 1،بيروت،دار الكتاب اللبناني.
_ الفراهيدي الخليل،(د. ت)، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، د. ط، بيروت، دار ومكتبة الهلال.
_ ابن فرحون إبراهيم بن علي اليعمري، (د. ت)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، د. ط، القاهرة، دار التراث للطبع والنشر.
_ ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله الأزدي، (1408هـ/1988م)،تاريخ علماء الأندلس، نشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني،ط 2،القاهرة، مكتبة الخانجي.
_ القاضي عياض السبتي، (1403هـ/1983م)،ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق عبد القادر الصحراوي، ط 2، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
_ القرطبي أبو عبد الله، (1409هـ/1989م)،قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة، تحقيق مجدي فتحي السيد، ط 1، طنطا، دار الصحابة للتراث.
_ محمد حسن جبل، (2010م)،المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ط 1، القاهرة، مكتبة الآداب.
_ محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، (1408هـ/1988م)،معجم لغة الفقهاء،ط 2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

_ محمد ماهر حمادة، (1398هـ/1978م)، المكتبات في الإسلام،ط 2، بيروت، مؤسسة الرسالة.
_ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (1425هـ/2004م)، المعجم الوسيط، ط4، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.
_ المقري التلمساني، (1361هـ/1942م)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، د. ط، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
_ المقري التلمساني،(1388هـ/1968م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسانعباس، د. ط، بيروت، دار صادر.
_ ابن منظور، جمال الدين،(1414هـ/1993م)،لسان العرب، ط 3،بيروت،دار صادر.
_ النباهي المالقي أبو الحسن علي، (1403هـ/1983م)، تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط 5،بيروت،دار الآفاق الجديدة.
_ النووي أبو زكريا محيي الدين، (1392هـ/1972م)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط 2،بيروت،دار إحياء التراث العربي.
_ أبو هلال العسكري،(1422هـ/ 2002م)، الفروق اللغوية، تحقيق جمال عبد الغني مدغمش، ط 1،بيروت،مؤسسة الرسالة.
_ وكيع أبو بكر محمد بن خلف، (1366هـ/1947م)،أخبار القضاة، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي،ط 1،القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

للإحالة على هذا المقال:

- محي الدين صف الدين، (2021)، « تبادل الهدايا بين علماء الغرب الإسلامي وبقية عناصر مجتمعاتهم خلال العصر الوسيط ». **المواقف**، المجلد: 17، العدد:01، جوان 2021، ص. ص 649- 687.